

روح الحضارة الإسلامية

للشيخ محمد فاضل بن عاشور

تقديم وتعليق د. محمد عماره

صاحب هذه الدراسة الشيخ العلامة محمد الفاضل بن عاشور ولد في تونس 1327-1390 هـ / 1909-1970م/ وقد كان مثلاً والده حلقةً من سلسلة علماء مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي لتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام. قبل فتح المسلمين للمدائن، كان الفتح الإسلامي للقلوب والعقول بهدي القرآن الكريم ثم جاءت كلّ الإنجازات في ميادين الحضارة وعلومها والثقافة وآدابها وفنونها ...

وإذا كان الإسلام هو سبب تقديم المسلمين ونهوضهم الحضاري وازدهارهم الثقافي فما هو سبب التخلف الذي أصاب المسلمين؟!

إنّ السبب هو غيبة روح الدين الإسلامي عن الحضارة الإسلامية فأين موطن الخلل الذي عطّل الفعل الإسلامي في الحضارة الثقافية؟

لقد عرض الشيخ محمد الفاضل بن عاشور لهذه القضية عندما تحدث عن:

1- تميز الإسلام الدين بإقرار الحضارة وبناء الثقافة:

فالحقيقة الاعتقادية هي الأساس لكلّ ما بنت الحضارة الإسلامية واستمرت مظاهر الحضارة متصلة بالدين وعوامل الدين فعالة في مظاهر الحضارة.

2- كما امتازت الحضارة الإسلامية بالتوازن والانسجام :

لقد كانت الحضارة الإسلامية من أثر إنسان اكتسب وضعاً منسجماً في ذاته آمناً إلى نفسه فصنع حضارة اكتسبها مما اكتسب ففاقت بما فيها من انسجام غيرها من الحضارات.

3- لكن ما الذي حدث حتى تخلفت الحضارة الإسلامية وتهللت ثقافتها مع بقاء الإسلام الذي صنعها وحقق لهما الازدهار!!؟

الخلل لم يحدث في ذات الإسلام إنما في انكماشٍ صدّ العقيدة عن أن تخلع من روحها على الحضارة، فأصبحت الحضارة خائرة جامدة لا تتقدم فأصبحت الأوضاع الاجتماعية والآثار المدنية في وادٍ والعقيدة الدينية في وادٍ، وهجمت عليه مدنيات أجنبية عنه.

لقد أدرك ابن خلدون هذه الحقيقة فأخذ يدرس فساد الدولة وركود العمران في عصور الإسلام اللاحقة عن عصوره السابقة.

4- وإذا كانت هذه هي المشكلة فما هو حجمها؟ وما هو عمرها!؟

إنّ حجم هذه المشكلة ليس بالهين وعمرها ليس بالقصير ... لقد تفاقمت حتى انتهت إلى الوضع المفزع الذي ضجّ قرننا الحاضر منه بالشكوى.

5- وأخيراً ما هو الحلّ الحقيقي لهذه المشكلة؟

إنّ الحلّ العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة والثقافة المتألقة ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

روح الحضارة الإسلامية

الدكتور محمد عماره

مدخل:

لقد كانت حضارة الإسلام باهرةً ويمكن رفع منزلة الحضارة الإسلامية فوق الحضارات كلها، لقد بلغت حضارة العصر بالإنسان إلى السماء، ولكن لماذا يمكننا أن نقول إن حضارة الإسلام لم تبلغ مبلغها حضارةً أخرى؟

1- إن ذلك بسبب إنسانية الحضارة الإسلامية:

إذا اعتبرت الإنسان بوصفه إنساناً مدعواً للاشتراك مع كل إنسان في تأليف مجتمع تتربط عناصره برباط العقد الاجتماعي الذي يبرز الطاقة الإنسانية.

2- التوازن وضبط النسب:

حالة الأمن الداخلي والاستقرار الذاتي مظهراً للكمال الإنساني الحق، فأكسب الحضارة مما اكتسب من انسجام حتى فاقت الحضارات الأخرى.

3- وعي الإنسان لذاته محور الحضارة:

حيث استطاعت الدعوة الدينية أن تقويه وتثبته وتدفع عنه العوائق والمنتبّطات والمضللّات.

4- سلامة الفطرة:

إنّ العراك بين العقل والعقيدة أو بين النظر والدين ليس إلّا أثراً لفساد الفطرة واختلال الوضع الطبيعي للنفس الإنسانية والإيمان هو الذي يحثّ على الدأب على مسلك المؤمن بالمحافظة على سلامة فطرته 'فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها'.

5- الانسجام مع نظام الكون:

لقد كانت الملاحظات المادية والتجارب الطبيعية في الكون طريقاً لإدراك الحقيقة الدينية والاطمئنان إلى اليقين الاعتقادي.

6- إن الصورة التربوية التي تكونت بها شخصية الفرد المسلم أن الإيمان توجيهٌ والتفكير برهانٌ.

7- لقد كانت نسبة الاتصال بين الدين الإسلامي ونواحي الفكر والحضارة كثيرة جداً من خصوصية الحضارة الإسلامية التي تكونت عليها نفسيّة المسلم.

8- تلازم العلم والإيمان:

لقد كان العلم طريقاً للدين وأساساً للعقيدة وكانت العلوم بأسرها عناصر للثقافة الإسلامية.

9- وإذا كنا نحن ندعو لعودة العهود الذهبية لهذه الحضارة فيجب أن نعود إلى العامل التربوي الذي كوّن الفرد قبل أن يكون المجتمع.

10- موطن الخلل:

إنّ ما يشكو منه كل صديق صدوق أنّ المصاب العزيز لم يكن في الإسلام فهو قوي صحيح موفور العافية ولكنّ المصاب في الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ولقد بحث المصلحون القدامى أمثال الشاطبي وابن تيمية والإمام الغزالي عن العطاء في الدين نفسه فأوجدوا حلولاً إصلاحية إلى أن جاء العصر الحاضر ليكون ميدان اختبار جديد وكان لابد من تقويم طرائق النهوض: على المسلمين ألا يتخذوا من سوء حالهم حجة على الإسلام تعلق به ما ليس منه وتحكم عليه بما هو منه بريء. لقد كان زعماء الفكر الإسلامي في أوائل القرن الحاضر من قواد المواقف الدفاعية المجيدة .. ولكن هل يكفي الدفاع عن الإسلام في تغيير الواقع السيء للمسلمين.

فالجُمود الذي لابسَ الثقافةَ الإسلاميّة، لن يزول إلا برَد الإسلام على ما كان على عهد الخلفاء الراشدين.

ويعرض الكتاب أقوال المصلحين ووجهات نظرهم، أمثال الشيخ محمد عبده والأمير شكيب وبقي السؤال لماذا تأخر المسلمون بلا جواب!!؟ مع أن الجميع متفقون على أن العالم الإسلامي في العصر الحاضر في تبدل وانقلاب، بسبب تلك اليقظة التي انبعثت بها القوى العقلية والروحية. ومما لا شك فيه أن حضارة إسلامية الروح وثقافة إسلامية الطابع، ستبدوان من بين ذلك القدر المشترك المؤلف بين شعوب الأمة الإسلامية الناهضة المستقلة ...

التفسير الديني للحضارة:

إن الحقيقة الاعتقادية الإلهية هي الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية، وإن تفكيك الدين عن الدنيا جعل الأوضاع الاجتماعية والآثار المدنية تصدر عن غير ما كانت تصدر عنه فصارت هي في واد والعقيدة الدينية في واد .. كان الله في عون كل مسلم حيث هجمت عليه مدنيات أجنبية عنه فلم يجد من إرادته الدينية ما يتناول به هذه المدنية كما فعل من قبل فوقف أمامها جامداً .. إلى متى سيبقى هكذا

الله أعلم...

تلخيص: السيدة خديجة الشهابي

طباعة: الأنسة ريم دقماق

تدقيق: الأنسة ندى عابدين